يوسف ابن أبي ثور، ذِمِّيٌّ يهودي منفي من الأندلس

Yusuf Ibn Abi Thawr, un dhimmi juif dévot d'Andalousie
Yusuf Ibn Abi Thawr, a dhimmit devout Jewish Jew from Andalusia

أ . عبد الكريم فايزي
faiziabdelkerim@gmail.com
جامعة الشهيد حمَّة لخضر – الوادي

ملخَّص:

من حسن حظ الأندلس أن كان بها أُسس البناء الحضاري والإنساني مختلفة الألوان ومتعددة السِّمات، وكانت مشاربها مختلفة المنابع متعددة الروافد، في ظل هذا الجو المفعم بالتسامح، والذي لا نجد له مثيلاً في أي بلد آخر خلال العصور الوسطى أو الفترة القروسطية، عاش أهل الذمة من يهود ونصارى في الأندلس متمتعين بكامل حقوقهم المدنية، وزاولوا مختلف الحرف، وتقلدوا العديد من المناصب الهامة في هرم الدولة، وكان منهم العلماء والشعراء والأطباء وغير ذلك، سنحاول من خلال هذه الدراسة تتبُّع حياة أحد الشخصيات الذمية الأندلسية، وهو العالم اليهودي التلمودي الشهير "يوسف بن أبي ثور" الذي كان من أعلام الأندلس البارزين في زمانه، لكن بسبب ظروف معينة وجد نفسه مضطرّاً للرحيل من الأندلس ومغادرتها، ولم يستطع العودة إليها، فانظمَّ بذلك إلى كوكبة الشخصيات التي تعرضت للنفي من البلاد التي عاشت فيها خلال فترة العصور الوسيطة.

Résumé :

Al - Andalus a les fondements de construction de la civilisation et de l'humanité de couleurs différentes Et multiple. Dans ce climat de tolérance, sans précédent dans aucun autre pays au Moyen Âge, le peuple du Dhimma vivait en Andalousie, jouissant de tous ses droits civils, exerçant divers métiers et occupant de nombreuses fonctions importantes dans la hiérarchie de l'État. Parmi les érudits, les poètes, les médecins et d’autres personnes, nous tenterons par le biais de

مقدمة:

يتعدد النشاط الإنساني بتعدد تطلعات الإنسان وآماله، وبتعدد حاجياته الفردية والجماعية، الضرورية والكمالية، وهذا النشاط هو الذي يحرك بناء الكيان الحضاري تاريخاً وحاضراً، إنها فطرة الرغبة في بناء صرح حضاري لا يريد أن تكون له صبغة مميزة، ومن جميل حظ الأندلس أن يكون التناغم بها هو السمة الغالبة، والصفة المميزة، على الأقل في هذا الإرث الفكري الذي لم ينحصر نفعه في مجال أمة الإسلام، وإنما كان له امتداده الراسخ في مكونات الحضارة الإنسانية في مختلف ميادينها.

إذن هنالك ظاهرة تميز بها المجتمع الأندلسي خلال العصر الوسيط بمختلف أطواره ومراحله تمثلت في تشكُّله من "فسيفسائية" بشرية ذات تعددية عقدية، ولغوية، وثقافية، وهي: العنصر الإسلامي، والعنصر النصراني، والعنصر اليهودي، وأن هنالك عوامل أثَّرت - بقدر أو بآخر - في إرساء أُسس تواصل حضاري بين تلك العناصر البشرية الثلاثة، وكان لذلك آثار بعيدة الأثر في حياتها الدينية والثقافية[1]، ولقد بلغ تسامح المسلمين مع النصارى واليهود الذين كانوا يعيشون في ظِلال الحكومة الأندلسية درجة عالية[2]، إذ كان الأكفاء منهم موضع إجلالٍ للأمراء والخلفاء وأمراء الطوائف على السَّواء، كما كانت لهم غالباً مناصبهم الكبيرة في الدولة، وقد شكَّل ذلك مشهداً فريداً لم نشهد له مثيلاً في أوروبا خلال العصور الوسيطة أو حتى العصور اللاَّحقة.

وبسبب ذلك اشتهر في البلاد الأندلسية العديد من العلماء من أهل الذمة، كان من أبرزهم خلال فترة الخلافة والطوائف (316 – 488هـ / 929 – 1095م) الحبر اليهودي "يوسف بن أبي ثور" الذي كان من أبرز علماء الدين في الطائفة اليهودية الأندلسية، لكن بسبب الصراعات داخل تلك الطائفة نفسها سيتغير مسار حياة هذا العالم اليهودي الأندلسي بشكل كبير جداً، ويجد نفسه مضطرا لمغادرة البلاد التي ولد وتربى، ودرس ونشأ بها، حتى صار علماً بارزاً من أعلامها، ولم يتمكن من العودة إليها بعد ذلك.

أولاً: التسامح الديني في الأندلس:

لقد قدَّم لنا التاريخ صوراً رائعة من التسامح والتناغم بين الشعوب وحضارتها على أرض الأندلس، حيث كان الحُكم الإسلامي الذي كان سائداً بها نحو ثمانيةِ قرون (92 - 897هـ / 711 - 1492م) سبباً في إيجاد جوٍّ من التسامح والتفاهم والتعايش بين مختلف الأجناس والأديان، والمكونات والثقافات، تجلَّى ذلك بشكلٍ أكثر وضوحاً خلال فترة الخلافة والطوائف أين عاش المسلمون واليهود والنصارى مُتجاورين رغم الاختلاف العرقي والثقافي والمذهبي والعقائدي[3].

لقد كانت الأندلس بعد الفتح الإسلامي لها مُزدحمةً بالأجناس المختلفة وكان من الطبيعي أن تتَّصل هذه العناصر ببعضها البعض سواءٌ بالمعاملة، أو بالمصاهرة، أو بالجوار، أو بالحرب[4] – أي بمختلف الوسائل – كما أنَّ الفتح الإسلامي للأندلس كان حدثاً تاريخيّاً وحضاريّاً لا مُجرَّد احتلال عسكري تفوَّقت فيه الجيوش الإسلامية، ويظهر ذلك بوضوحٍ خلال فترة الفتح وعهد الولاة من خلال مُعاهدات الأمان وطريقة تعامُل الفاتحين مع السكان من القوط ومن اليهود، ومن الواضح أيضاً أنَّ الإمارة الأموية اتبعت سياسة واحدة منذ عهد "عبد الرحمن الداخل" اتِّجاه النصارى واليهود وباقي الأجناس الأخرى وهي سياسة التسامح التي امتدَّت عصوراً طويلة[5]، فحَكم المسلمين أهل الأندلس بإنصافٍ وعدلٍ مُنقطع النظير[6]، وتمتَّع أهلها في ظِلِّه بوضعٍ خاصٍّ[7] غير الذي اعتادوا عليه في عهد الوندال[8] والقوط[9] ، وفي الفترة التي تلت فترة الإمارة الأموية في الأندلس – أي فترة الخلافة والطوائف – واصل الخلفاء الأمويون وأمراء الطوائف سياسة التسامح مع أهل الذمة من يهود ونصارى، بل إن سياسة التسامح تلك زادت وتيرتها في عصر الخلافة والطوائف عن عصر الإمارة الأموية.

لقد عومل أهل الذمة منذ الفتح الإسلامي للأندلس معاملة طيبة تمتعوا خلالها بحقوق واسعة كفلها الإسلام لغير المسلمين الذين يعيشون داخل المجتمع الإسلامي وألزم المسلمين مراعاتها[10]، وكلُّ ذلك وفقاً لعقد الذمة باعتباره عقداً غير محدَّد بوقت ما لم يوجد ما ينقضه مع ما أحاطه به مسلمو الأندلس وفي طليعتهم أهل الحل والعقد من الولاة والفقهاء من تسامح غاية في التحضر والمراعاة كان هو الذي حافظ على تماسك النسيج المجتمعي رغم التعدد والتنوع عصرا بعد عصر، وكان هو الذي أفرز بمرجعيته العقدية والثقافية التي تكرس قيم العدل وترسخ مبادئ التسامح ما ربط بين مكونات البلاد الأندلسية البشرية ذات التعددية الدينية، واللغوية، والثقافية من تواصل حضاري تحقق به التعارف بين أفرادها وجماعاتها ولغاتها وثقافاتها، والتعايش بين عقائدها ودياناتها[11].

ونظراً لذلك تكاثر سواد أهل الذمة من نصارى ويهود في النسيج الاجتماعي بدار الإسلام بالأندلس، وكان منهم من أقام بها من أول يوم بعد الفتح مطمئنا على دينه وماله، وكان منهم من غادرها إلى ممالك الشمال – في فترة لاحقة – أو إلى أجزاء أخرى من أوروبا، ثم ما لبث أن عاد مؤثرا الإقامة في كنف الحكومة الإسلامية حيث يُبرُّ به، ما لم ينقض العهد، ويُقسَط إليه في جوٍّ مغمور بروح التسامح[12]، كما أن اندماج أهل الذمة في الحياة الإجتماعية بالأندلس كان واضحاً[13]، فقد تميز عصر الخلافة والطوائف على وجه التحديد بالإندماج العميق الذي حدث فيما بين العناصر الإثنية والطائفية (خصوصاً بين المسلمين وأهل الذمة)، فتشكلت على إثر ذلك معالم الهوية الأندلسية واتضحت[14]، ولا شك أن النوازل الفقهية قدمت لنا هذا الإندماج في مختلف حالاته وصوره.

وتذهب العديد من الأبحاث والدراسات الغربية إلى التأكيد على أن أوضاع النصارى واليهود تحت حُكم المسلمين في الأندلس خلال العصور الوسطى كانت مستقرة ومزدهرة[15]، عكس ما كان عليه الحال في الممالك الإسبانية الأخرى، ففي مملكة أرغون مثلاً كان يتم التضييق على الأقلية المسلمة واليهودية[16]، كما تؤكد دراسات غربية أخرى[17] أن أوضاع اليهود في الأندلس كانت أفضل بكثير من أوضاعهم في الممالك الأوروبية المسيحية وغير المسيحية.

ثانياً: التعريف بابن أبي ثور:

منذ فتح المسلمين للأندلس، خرجت الديانة اليهودية من طور الاضطهاد الذي لزمها خلال العصر القوطي، إلى طور التسامح، وتركهم المسلمون يعيشون أحرارا في أهم الحواضر الأندلسية كغرناطة Granada وأليسانة Lucena وقرطبةِ Córdobaوإشبيلية Cevilla وغيرها، ولم يتعرضوا لدور عبادتهم بالهدم، بل وفروا لهم كل الحرية في مزاولة عقيدتهم وممارسة شعائرهم الدينية[18].

وتبعاً لذلك أسس اليهود في الأندلس مدرسة تعنى بالدراسات الدينية اليهودية بموافقة من السلطات الإسلامية، وبلغت تلك المدرسة ذروة نشاطها خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وتوسعت وزادت اختصاصاتها حتى أصبحت داراً للإفتاء للشريعة اليهودية، وهذا يدلُّ على أن اليهود في قرطبة – وفي الأندلس عموماً – خلال عصر الخلافة والطوائف كانوا يمارسون شعائرهم الدينية في حرية تامة[19]، كما أصبحت الأندلس – بسبب ذلك التسامح – محجّاً لبعض اليهود من بلدان أخرى، من ذلك على سبيل المثال وفود "إسحاق الفاسي"[20] (ت 497هـ / 1104م) من بلاد المغرب واستقراره في أليسانة سنة 481هـ / 1088م[21].

ومن أهم خريجي مدرسة قرطبة كان الحاخام اليهودي والعالم التلمودي الأندلسي "يوسف بن أبي ثور" (ت 403هـ / 1012م)، والذي كان عالماً ضليعاً يعود أصله إلى أسرة علمية شهيرة من يهود مدينة ماردة Mérida (غرب الأندلس)، حيث كان جده أحد أهم أحبار الجالية اليهودية الأندلسية، حصل "يوسف بن أبي ثور" على تعليمه الديني من مدرسة قرطبة على يد الحاخام الشهير "موسى بن حنوخ"[22]، وإضافة إلى علمه الواسع كان ابن أبي ثور شاعراً فذّاً، وقد أُدخلت أشعاره الدينية فيما بعد في شعائر اليهود[23].

وبطلبٍ من الخليفة الأندلسي الحكم الثاني المستنصر الذي كان يجمع أهم المصنفات العلمية في مكتبته التي كانت تعتبر من بين أكبر المكتبات واكثرها ثراءاً وتنظيماً في ذلك الوقت[24]، أعدَّ ابن أبي ثور ترجمة للتلمود باللغة العربية[25]، والتي تعتبر من أولى الترجمات التي ترجمت التلمود اليهودي من اللغة العبرية القديمة إلى اللغة العربية[26]، وبشكل عام شكل ابن أبي ثور نوعاً جديداً من الأحبارفي زمانه، حيث كان يمتلك معرفةً واسعة في العلوم الدنيوية، إضافة إلى علمه الكبير بالعلوم الدينية، فكون بذلك نمطا جديدا من الأحبار غير متقيد بالعوم الدينية فحسب.

ثالثاً: الصراع على منصب الحاخام الأكبر ومغادرة الأندلس:

إنَّ السياسة الجديدة التي اتبعها كلٌّ من الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (الثالث) (حَكم 300 - 350هـ / 921 - 961م)[27]، وولده الحَكم (الثاني) المستنصر (حَكم 350 - 366هـ / 921 - 976م)[28] من إزالة الارستقراطية العربية التي كانت تقلقه أن أدَّى إلى فسح المجال أمام أهل الذِّمَّة عامَّة واليهود خاصَّةً أن يشغلوا العديد من المناصب الإدارية في دولة الأندلس[29]، إذ أنه لمتكن لليهود والنصارى عصبية تسمح لهم بالتآمر على الحكام أو بالمطالبة بالحكم في الدولة الأندلسية وهم أهل ذمة، لذلك لم يشكل توليتهم في المناصب الهامة في الدولة خطراً على الحكام في الأندلس.

وقد ظلَّت سلطة اليهود وقضاءهم ومقاليد أمورهم الدينية الخاصة بهم بين أيديهم في الأندلس، فقد جرت العادة على أن تعيِّن السلطة الإسلامية "المقدم" أو "النعمان"[30] No'man أو "الجالوت"[31] (الجاون) Gaon ويسمى أيضاً "الناسي" (الأمير) Nasi أو "شيخ اليهود"، للقضاء في أمرهم والإشراف على شؤون الجالية اليهودية في الأندلس وفق قوانينهم الخاصة وبتشريعهم الخاص[32]، ويكون هذا "الشيخ" أو "الناسي" نفسه هو الواسطة بينهم وبين السلطة المدنية الأندلسية، وكان زعيم اليهود هذا يُعيَّن من قبل البلاط في قرطبة، وكان يظل في ولايته مدة سنة[33]، ومن بين أعمال المقدم أو "الناسي" تقديم الخدمات الاجتماعية العامة مثل إعالة الفقراء من طائفته، والاهتمام باليتامى والأرامل والمرضى والعجزة، والاهتمام بالتعليم وبخاصة التعليم الديني، والأعمال الدينية المكمِّلة كمراسيم الدفن وغيرها من الأعمال والمهام[34]، وكان "حسداي بن شبروط"[35] هو من تولى منصب رئيس الطائفة اليهودية أو "الناسي" في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله.

وكان المنصب الثاني الذي يلي منصب "الناسي" في الأهمية بالنسبة لليهود في الأندلس هو منصب "كبير الأحبار" أو "الحاخام الأكبر" كما سُمِّي لاحقاً[36] (وهو اللقب الذي أُطلق على زعماء اليهود الدينيين في البلدان العربية والإسلامية)، وقد شغل هذا المنصب في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (300 - 350هـ / 912 - 961م)

الحبر "موسى بن حنوخ" الذي توفي حوالي سنة 360هـ / 970م، وهو الأستاذ الذي درس عليه يوسف بن أبي ثور في مدرسة قرطبة للعلوم الدينية اليهودية.

فقد قام "حسداي بن شبروط" بمنح "موسى بن حنوخ" منصب كبير الأحبار، إذ أنَّ حق تعيين الأحبار والقضاة بالنسبة للطائفة اليهودية بالأندلس كانت بيدِ "النَّاسي" – المسؤول الأول في السُّلَم الإداري للجالية اليهودية في الأندلس – وهذه الصلاحيات التي أُعطيت للناسي هي إحدى المؤشرات على التسامح الإسلامي مع اليهود –كما سبقت الإشارة إليه – وتعاون كلٌّ من "حسداي بن شبروط" و"موسى بن حنوخ" على تنظيم شؤون الطائفة اليهودية في البلاد الأندلسية، وتطوير المدرسة اليهودية الدينية التلمودية في قرطبة[37]، فاستقدموا إليها عدداً من أحبار اليهود من داخل الأندلس ومن خارجها[38]، وسرعان ما حصلت هذه المدرسة على شهرةٍ كبيرة، بحيث أنَّ الطلاب اليهود بدأوا بالتدفُّق إليها من مختلف مدن الأندلس وبلاد المغرب الإسلامي، وحتى من المشرق الإسلامي ومن أوروبا، حتى أصبحت مركزاً رئيسيّاً من مراكز التعليم اليهودي في العالم في ذلك الوقت[39].

وعند موت كبير الأحبار أو الحاخام الأكبر والمشرف على مدرسة قرطبة للدراسات العبرية "موسى بن حنوخ" حوالي سنة 360هـ / 970م لم يفكر اليهود في جلب حبر أو حاخام من خارج الأندلس ليتولى الشؤون الدينية للطائفة اليهودية والإشراف على المدرسة العبرية فيها، فقد أعدَّت المدرسة اليهودية القرطبية عدداً من الأحبار، كان "أبرزهم يوسف بن أبي ثور" (ت 403هـ / 1012م)، و"حنوخ بن موسى بن حنوخ"[40] (ت 405هـ / 1014م) وهو ابن الحبر الأكبر المتوفى[41].

وانقسم بذلك يهود قرطبة إلى مجموعتين متنافستين ومتصارعتين، الأولى تريد أن يرث "حنوخ بن موسى بن حنوخ" منصب أبيه، والأخرى تُفضل أن يتولّى هذا المنصب الحبر والعالم الشهير "يوسف بن أبي ثور"[42]. ولأسبابٍ عديدة رجحت كفة "حنوخ بن موسى"، لأن الناسي "حسداي بن شبروط" رئيس الطائفة اليهودية في الأندلس، والذي

كان له القول الفصل في تعيين كبير الأحبار فيها، كان يفضِّلُ "حنوخ بن موسى" على "ابن أبي ثور"[43]. فأصبح بذلك "حنوخ بن موسى" كبيراً للأحبار في الأندلس، أو الحبر الأعظم كما كان يُسمّى أحياناً[44]، ومارس عمله برعاية الشؤون الدينية لليهود في الأندلس وترأسِّه مدرسة قرطبة للعلوم الدينية العبرية.

ولكن بعد موتِ "حسداي بن شبروط" الناسي والمشرف على شؤون الجالية اليهودية في الأندلس سنة 360هـ / 970م اشتدَّ الصراع في قرطبة على المنصب الحبري ليهود الأندلس من جديد، وقامت المجموعة المؤيدة ليوسف ابن أبي ثور بتحدي الحبر حنوخ بن موسى علناً، فقام أتباع حنوخ بردٍّ عنيف وقرروا تسليط عقوبة الحرمان على ابن أبي ثور كنسياً، ووضعوه بذلك خارج المجموعة اليهودية.

وبسبب احتدام الصراع بين المجموعتين، وتعصب كل طرفٍ من الأطراف المتصارعة لرأيه، وخوفاً من تطور الأحداث التي قد تصل إلى مستوى خطير من الصراع، وإلى نتائج وخيمة على الجميع، طلبت الجماعتان من الخليفة المستنصر بالله التحكيم في نزاعهما، وبعد موافقة الخليفة، توجَّه ممثلو الحزبين المتنافسين والجماعتين المتنافرتين إلى مدينة الزهراء[45]، حيث قصر الخليفة الأندلسي ومقرُّ حُكمه، وقد اجتمع كلُّ طرفٍ مع الحبر الذي يؤيده ويريده، وقد لاحظ الخليفة المستنصر أنَّ غالبية يهود قرطبة يناصرون حنوخ بن موسى، فمال إلى رأي الأغلبية، وأخذ قراره لصالحه، وعندما حاول ابن أبي ثور أن يُقنع الحكم بأحقيته في هذا المنصب وجدارته به، قال له المستنصر ناصحاً: "لو أنَّ العرب قد تجهَّموا بوجهي مثلما فعل اليهودُ معك، لرحلتُ عن الأندلس، إنني أنصحك بالرحيل عن قرطبة"[46]، فاستجاب ابن أبي ثور لنصيحة المستنصر، ورحل إلى إحدى مدن الأندلس البحرية، ثم غادرها بشكل نهائي إلى بلاد المغرب الإسلامي[47].

إنَّ سبب تفضيل المستنصر لحنوخ يعود إلى اعتقاده بأنَّ وجود حنوخ في هذا المنصب يحقق المصلحة للدولة التي سبق أن جرَّبت أباه، فلم يتسبب لها بأية مشاكل أو متاعب،

كما أنَّ في تولّي شخص يؤيِّده معظم اليهود، ويفضلونه، مصلحة للدولة، إذ يضمن استقرار الطائفة ويقلِّلُ من الاختلافِ الذي يتعب حدوثه الدولة أيضاً.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الخليفة الأندلسي الحكم المستنصر بالله لم يطرد ابن أبي ثور من الأندلس، ولم يأمره حتى بمغادرتها، أي أن ابن أبي ثور لم يغادر الأندلس بأمرٍ تعسفي بالنفي من حاكمها أو سلطانها أو المتغلِّب عليها كما كان يحدث في أغلب حالات النفي التي عرفتها مختلف البلاد في الفترة القروسطية، وإنما غادر يوسف بن أبي ثور الأندلس آخذاً بنصيحة خليفتها، بعد أن فهم بأنه يصعب عليه البقاء بعد الصراع الذي كان له مع الغالبية المكونة للطائفة اليهودية بالأندلس، وحرصاً منه على استقرار أوضاع تلك الطائفة، وحرصاً من الخليفة الأندلسي أيضاً على استقرار الأمور في بلاده وعدم تواصل تلك الصراعات والخلافات، كل تلك الأسباب عجَّلت بمغادرة يوسف ابن أبي ثور الأندلس تلك البلاد التي ولد ونشأ وتربى فيها، والتي صار أحد أعلامها البارزين، دون أن يسعفه الحظ في العودة إليها بعد ذلك.

رابعاً: ابن أبي ثور خارج الأندلس:

بعد فترة زمنية من مغادرة يوسف بن أبي ثور الأندلس ومكوثه واستقراره بإحدى مدن المغرب الإسلامي، توفي الخليفة الأندلسي الحكم المستنصر (الثاني) سنة 366 هـ / 976م، وكان ولده هشام[48] الذي خلفه، ما زال صغيراً لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، فأدار البلاد "محمد بن أبي عامر" الذي عُرِف بالحاجب المنصور خلال الفترة (366 – 392هـ / 976 – 1002م)[49].

قام المنصور بتعيين صانع الحرير "يعقوب بن جاو"، رئيساً أو ناسياً لليهودِ في الأندلس[50]، ومُنح الناسي الجديد في الأندلس الصلاحيات نفسها التي كان حسداي بن شبروط قد تمتَّع بها[51]، إذ كان يقوم بتعيين الأحبار والقضاة في الطائفة اليهودية، ويتولَّى جمع الجزية المقرَّة على يهود الأندلس وتسليمها إلى السلطات الأندلسية، وصار لابن جاو أعوانٌ من اليهودِ تحت تصرُّفه، وعربةٌ تأخذه من قصر الخليفة، فأحسَّ بقوة سلطانه،

وتمكُّنه من السيطرة على كافة شؤون المجموعة اليهودية في الأندلس، فتكبَّر على اليهودِ، وتسلط عليهم، وأعلم الحبر حنوخ بن موسى الذي ظلَّ كبيراً للأحبار أنه لو تجرَّأ على اتخاذ القرارات في القضايا القانونية بدون إذنه، فسوف يضعه في قاربٍ دون مجاديف ويطلقه في عرض البحر[52]، فأقلقت تلك التصرفات أعيان اليهود وعوامَّهم، وصار الناسي "يعقوب بن جاو" مكروهاً لدى الغالبية من اليهود في الأندلس.

بعد ذلك، عزم "يعقوب بن جاو" – وهو الذي كان مؤيِّداً ليوسف بن أبي ثور خلال فترة الصراع على منصب الحاخام الأكبر – على تجريدِ حنوخ بن موسى من منصبه الحبري، واستدعاء ابن أبي ثور الذي كان في الشمال الأفريقي، معتبراً أن الحرمان الكنسي الذي صدر ضده من قبل حنوخ وأتباعه كان قراراً ظالماً في حقه، وعندما وصلت الدعوة إلى ابن أبي ثور بالعودة إلى الأندلس وتقلُّد منصب الحبر الأكبر أو الحاخام الكبير فيها رفض تولّي ذلك المنصب بمساعدة يعقوب بن جاو، وأرسل إليه أنه لا يوجد حبرٌ أصلح من حنوخ بن موسى لهذا المنصب في هذا التوقيت[53].

وربما يعود سبب رفض يوسف ابن أبي ثور للتعيين بواسطة وبمساعدة يعقوب بن جاو، علمه بأن ابن جاو المكروه من قبل غالبية يهود الأندلس بسبب ترفه وتكبره، وجوره وظلمه لهم، فإنه بذلك لن يستمر طويلاً في هذا المنصب، وسوف يُطرد هو أيضاً إذا ما أُبعد ابن جاو عن منصبه، ولعلمه أيضاً بأن غالبية يهود الأندلس لازالوا يفضِّلون حنوخ بن موسى بن حنوخ حاخاماً أكبراً عليهم، إضافة إلى القبول العام الذي يتمتع به حنوخ من قبل السلطة السياسية في الأندلس، كل تلك الأسباب لم تشجع يوسف بن أبي ثور على العودة إلى الأندلس.

بعد مكوث يوسف ابن أبي ثور فترة زمنية معينة في إحدى مدن المغرب الإسلامي وقراره بعدم العودة إلى الأندلس، فضَّل التوجه إلى بلاد المشرق الإسلامي، وفي طريقه توقف واستقر بعض الوقت في مصر، ثم قرر التوجه بعدها إلى العراق، وبالضبط إلى مدينة بومبيديتا (الفلوجة حالياً) والقريبة من مدينة بابل[54]، وكان في كلٍّ من مدينتي

بومبيديتا وبابل جالية يهودية معتبرة، حيث طمح أن يُرَحِّب به كبير الأحبار هناك "الحبر حيّ"، لكنّه لم يفعل، لأنَّ ابن أبي ثور كان قد تمَّ حرمانه كنسيًّاً في الأندلس، فخاب أمله في العراق ولم يطل البقاء بها طويلاً، وقرر بعدها الرحيل إلى دمشق، التي توفي فيها سنة (304هـ / 1012م)[55].

خلاصة:

منذ بدايات الفتح الإسلامي للأندلس، اتسمت معاملة المسلمين لغيرهم من أهل البلاد المفتوحة من نصارى ويهود بالتسامح التام، ونلمس سياسة التسامح لهذه الأقليات المختلفة في احترام الحكّام المسلمين للنصارى واليهود في المعاملات؛ فلم يتدخّل الحكّام في شيء من عقائدهم، وتُرك لهم يعيشون عيشتهم، ولقد تبنّى غير المسلمين – نتيجة لهذه السياسة – العادات الإسلامية واللغة العربية، ونبغ منهم أدباء وعلماء، وانخرطوا في الحركة العلمية والثقافية[56].

في تلك الأجواء المفعمة بالتسامح ولد ونشأ يوسف ابن أبي ثور، الذي نال تعليمه الديني في مدرسة قرطبة للدراسات الدينية العبرية حتى صار أحد أهم علماء الدين اليهود في الأندلس، لكن بسبب الصراع على منصب الحاخام الأكبر اضطر ابن أبي ثور لمغادر الأندلس بعد نصيحة خليفتها الحكم المستنصر بالله.

لم يقم الخليفة الأندلسي الحكم المستنصر بنفي يوسف ابن أبي ثور من الأندلس، ولم يأمره حتى بمغادرتها، إذن لم يغادر ابن أبي ثور الأندلس بأمرٍ تعسفي بالنفي من حاكمها كما كان عليه الحال في أغلب حالات النفي التي عرفتها مختلف البلاد في العصور الوسيطة، وإنما غادر يوسف بن أبي ثور الأندلس آخذاً بنصيحة خليفتها، بعد أن فهم بأنه يصعب عليه البقاء بعد نتائج الصراع الذي كان له مع الغالبية المكونة للطائفة اليهودية بالأندلس.

بعد استقرار يوسف ابن أبي ثور فترة من الزمن في بلاد المغرب الإسلامي لاحت له فرصة ذهبية تسمح له بالعودة للأندلس وتعظيم مركزه ونفوذه بها، حيث طلب منه

الناسي الجديد لليهود العودة إلى الأندلس وتقلد منصب كبير الأحبار فيها، لكنه على عكس المتوقع رفض ذلك ولم يشأ الدخول في صراع مجددا، ليفضل في الأخير التوجه إلى بلاد الشرق الإسلامي.

وبذلك فإن الظروف الداخلية للطائفة اليهودية في الأندلس هي التي كان لها الأثر الأكبر في إضافة اسم "يوسف بن أبي ثور" إلى قائمة الشخصيات التي تعرضت للنفي من البلاد التي ولدت ونشأت فيها في منطقة الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، وليست قرارات السلطة الحاكمة حيث تميزت فترة حكم المسلمين للأندلس بتسامح ديني كبير مع الطوائف غير المسلمة من النصارى واليهود القاطنين بها.

---

[1] - حسن الوراكلي: فضاء التواصل الحضاري بين المسلمين وأهل الذمة في آثار فقهاء الأندلس، مجلة الأندلس، مجلة رقمية تعنى بالتراث الحضاري الأندلسي يصدرها مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، ع 3، صيف – خريف 2012م، ص 1.

[2] – أحمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1967م، ص 39.

[3] - خلفات مفتاح: مظاهر التسامح الديني، مظاهره في البلاد المفتوحة الأندلس أنموذجاً، الملتقى العلمي، جامعة قسنطينة، 2007م، ص 1.

[4] - محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 4، (1417هـ / 1997م)، ج 1، ص 283.

[5] - عبد المجيد نعنعي: تاريخ الدولة الأموية في الأندلس – التاريخ السياسي – ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د ت)، ص 86.

[6] - عبادة كحيلة: تاريخ النصارى في الأندلس، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، مصر، ط 1، (1414هـ / 1993م)، ص 155.

[7] - أحمد مختار العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف الإسلامية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2000م، ص 106.

[8] - اشتق الجغرافيون والمؤرخون العرب مصطلح "الأندلس" من الكلمات التالية: الأندليش أو الأندلش أو الأندلس، وهي الأسماء التي سُمي بها الوندال Vandales الذين سيطروا على أجزاء من شبه الجزيرة الإيبيرية في الفترة من (408 – 429م)، وهم إحدى القبائل الجرمانية الشرقية، من المؤكد أن الوندال شعب جرماني إسكندنافي، البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تح: عبد الحميد الحجي، (د ن)، بيروت، لبنان، 1968م، ص 57 – 58، ابن عذاري: البيان المغرب، نشر كولان وليفي بروفنسال، ليدن، هولندا، 1948م، ج 2، ص 2.

[9] القوط (باللاتينية: Gothi -) هم قبائل جرمانية شرقية، أرجح الآراء أنهم قدموا من "إسكندنافيا" إلى وسط وجنوب شرق القارة الأوروبية، لكن يبقى الخلاف على البلاد الأوروبية التي قدموا منها قائماً إلى اليوم، كان للقوط تأثير قوي في تاريخ أوروبا السياسي والثقافي والديني، يُقسَمون إلى قوط شرقيين وقوط غربيين، محمد مرسي الشيخ: الممالك الجرمانية في أوروبا في العصور الوسطى، دار الكتب الجامعية، (د م)، 1975م، ص 19 – 21: وانظر أيضا .

Carl WALDMAN and Catherine MASON : Encyclopedia of European peoples, Ed. Facts On File, New York, 2006, p. 575.

[10] - رجب محمد عبد العظيم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عهد بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر / ودار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (د ت)، ص 80.

[11] - حسن الوراكلي: المرجع السابق، ص 3.

[12] - حسن الوراكلي: المرجع السابق، ص 2.

[13] - عمر بنميرة: جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية، مجلة دراسات أندلسية، مطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ع 14، محرم 1416هـ / جوان 1995م، ص 66.

[14] - محمد المنوني وآخرون: التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، (1432هـ / 1991م)، ص 41.

[15] - Maria Rosa MENOCAL : The Ornament of the World (how Muslims, Jews, and Christians created a culture of tolerance in Medieval Spain), Ed. Little Brown, Boston, 2002, p. 33, Alex NOVICOFF : Between tolerance and intolerance in Medieval Spain (an historiographic Enigma), Medieval Encounters Review, N° 11, 1 - 2, April 2005, p. 9.

[16] - David NIERENBERG : Communities of violence : Persecution of Minorities in the Middle Ages, Princeton University Press, Princeton, 1966, p. 46, R. I. MOORE : The Formation of a Persecuting Society : Power and Deviance in western Europe 950 - 1250, Ed. Basil Blackwell, Oxford, 1987, p. 25.

[17] - Lindsey VAUGHAN : Convivancia (Christians, Jews, and Muslims in Medieval Spain), University of Tennesse Honors Projects, Knoxville, 2003, p. 6, Mark R.COHEN : "Golden Age" of the Jewish - Muslim relations (Myth and reality), Princeton University Press, Princeton, New Jersey, p. 31, Bernard LEWIS : The Jews of Islam, Princeton University Press, Princeton, 1984 , p. 62.

[18] - حسين مؤنس: فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711 – 756م). العصر الحديث للنشر والتوزيع ودار المناهل، بيروت، لبنان، ط 1، (1422هـ / 2002م)، ص 523، مريم قاسم طويل: مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح (443 – 484هـ / 1051 – 1091)، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب / ودار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، (1414هـ / 1994م)، ص 72.

[19] - نافزة ناصر الشرباتي: اليهود وأثرهم في الأدب العربي في الأندلس، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليل، فلسطين، 2007م، ص 89.

[20] - إسحاق الفاسي (ولد سنة 1013م بالقرب من قلعة بني حماد– وتوفي سنة 1103م بلوسينا في ريف، هو مفكر يهودي Rif وأيضا باسم Alfasiالأندلس) وهو معروف في الأوساط العلمية اختصارا مغربي قضى معظم حياته في مدينة فاس، لمدة 40 سنة، وهي الفترة التي أكمل فيها كتابه سفر ها هلخوت المختص في أدبيات الهالاخاه، عندما بلغ من العمر خمسة وسبعين، وشى به اثنين من المخبرين على نحو غير معروف لدى حاكم فاس مما أجبر في 1088م على الفرار إلى الأندلس، أصبح زعيم الطائفة اليهودية في اليُسَانَة وأسس أكاديمية تلمودية، مما تسبب في إحياء دراسة التلمود في الأندلس. بلغت حرية النشاط الديني ذروتها في الأندلس زمن إسحاق الفاسي في عز حكم الدولة الموحدية، فخلف موسى بن عزرا في منصب حبر غرناطة، ولعب دورا أساسيا في التكوين الديني ليهود الأندلس. من تلاميذه الشاعر يهوذا اللاوي، أنظر:

Hugh CHISHOLM : "'Al-phasi, Isaac". Encyclopædia Britannica, Cambridge University Press, Cambridge, 1 (11th ed.), 1911, p. 732.

[21] - إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال العصر المرابطي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1998م، ص 106.

[22] - هو عالم تلمودي يهودي، نقل العلوم التلمودية من العراق وإيطاليا إلى الأندلس، وشغل منصب الحاخام الأكبر ليهود الأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، وكان المنصب الثاني في الأهمية، حيث يليه منصب الناسي، الذي كان يشغله حسداي بن شبروط، وفقا للمؤرخ اليهودي إبراهيم بن داود ، فإن موسى بن حنوك سافر إلى البحر الأبيض المتوسط الغربي قادما من صورا، رفقة ثلاثة حاخامات آخرين قادمين من المدارس التلمودية العراقية، وعند خروجهم من مينا جنوب إيطاليا اختطفهم القراصنة وتم بيعهم عبيدا للمجتمعات اليهودية المنتشرة في مدن البحر المتوسط، فكان موسى بن حنوخ من نصيب حسداي بن شبروط، أنظر:
Moshe GIL : Jews in Islamic Countries in the Middle Ages, trad. de l'hébreu par : David Strassler, E. J. Brill, Leiden, 2004, p.177 - 178.

[23] - Angel Sáenz - BADILLOS y Judit Targarona BORRAS : Yosef ibn Yiṣḥaq ibn Abitur, In : Diccionario de autores judíos (Sefarad. Siglos X-XV), El Almendro, Córdoba, 1988, (Estudios de Cultura Hebrea, 10), p. 180 - 181

[24] - عبد الكريم فايزي: المكتبات في الأندلس ودورها في الحياة العلمية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الشهيد حمَّة لخضر، الوادي، الجزائر، ع 4، صفر 1436هـ / ديسمبر 2014م، ص 31.

[25] - محمد بحر عبد المجيد: اليهود في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1970م، ص35.

[26] - أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي: نقض كتاب تثليث الوحدانية في معرفة الله، تح: يوسف الكلام ونادية الشرقاوي، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط 1، 2012م، ص 38.

[27] - أبو المُطرّف عبد الرحمن الناصر لدين الله (300 – 350هـ / 912 – 961م)، ثامن حُكَّام الدولة الأموية في الأندلس، وأوَّل خلفاء قرطبة بعد أن أعلن الخلافة في مُستهل ذي الحجة من عام 316هـ / 929م، والمعروف في الروايات الغربية بعبد الرحمن الثالث تمييزًا له عن جدِّيه عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) وعبد الرحمن بن الحَكم (الأوسط)، استطاع عبد الرحمن الناصر إخماد التمرُّدات الداخلية والخارجية على سلطة الدولة، فاستعاد هيبة الدولة وبسط سُلطته على كافَّة أنحاء دولته، وبفضل الاستقرار السياسي والمغانم العسكرية، انتعشت الأندلس في عهده اقتصاديًّا وعسكريًّا، المقري: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، (1408هـ / 1988م)، ج

1، ص 379، ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر؛ القاهرة، مصر، 1966م، ج 1، 364، وانظر أيضاً:

"Abd al - Rahman III", Paula Kay BYERS, Encyclopedia of World Biography, A - Barbosa (2nd ed.), Thomson Gale,1998, Vol. 1, p. 14, "Abd ar - Rahman III", I: A - Ak - BYERS, Encyclopædia Britannica, (15 th ed.), Chicago, IL, Encyclopædia Britannica, Inc, 2010, p. 17 - 18.

[28] - الحَكَمُ (الثاني) المُستنصر بالله (حَكم 350 – 366هـ / 961 – 976م)، تاسع أمراء الدولة الأموية في الأندلس وثاني خلفاء الأندلس بعد أبيه عبد الرحمن الناصر، كان عصره امتداداً لفترة ازدهار الدولة الأموية في الأندلس الذي بدأ في عهد أبيه، وقد كان الحَكم رفيقًا برعيته، ففي عام 353هـ / 964م، وقعت مجاعةٌ في قرطبة فتكفَّل الحَكمُ بإطعام الفقراء والمساكين والمعوزين، وقد اشتهر الحكم بعشقه للعلم واقتناء الكتب، ابن الأبار: الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 2، 1958م، ج 1، ص 200، المقري: المصدر السابق، ج 1، ص 395، وانظر أيضاً:

Richard FLETCHER : op. cit., p. 53 - 73, Richard HITCHCOCK : Muslim Spain reconsidered, Ed. Edinburgh University Press, Edinburgh, 2014, p. 91 - 92, "Al - Hakam II, Caliph of Cordoba", Marilyn Higbee WALKER, Encyclopedia of Medieval Iberia, ed. Michael GERLI, Ed. Routledge, New York, 2003, p. 377.

[29] - حاييم الزعفراني: ألف سنة من حياة اليهود في المغرب (تاريخ، ثقافة، دين)، تر: أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، مطبعة دار قرطبة، الدار البيضاء، المغرب، 1987م، ص 13، وانظر أيضاً:

Mark R.COHEN : “Golden Age” , p. 32.

[30] - Isidor SINGER : The Jewish Encyclopedia: A Descriptive Record of The History, Religion, Literature, and Customs of the Jewish People from The Earliest Times (12 Volume Set), KTAV Publishing House, Simi Valley, California, 1970, Vol. 5, p. 67 – 69.

[31] - حاييم الزعفراني: يهود الأندلس والمغرب، تر: أحمد شحلان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2000م، ج 1، ص 49.

[32] - عبد الله بن بلكين: كتاب التبيان، تح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د ت)، ص 131.

[33] - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 1، 1999م، ج 2، ص 286 – 287.

[34] – س. د. جوايتان: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تر: عطية أحمد القوصي، نشر وكالة المطبوعات، الكويت، 1980م، ص 202.

[35] - حسداي بن شبروط (303 – 364هـ / 915 – 975م تقريبًا) هو طبيب ودبلوماسي يهودي أندلسي ومُستشار وكاتب (بمكانة وزير لكنه لم يتم تسميته وزير) للخليفة الناصر، ورئيس الطائفة اليهودية في الأندلس، كان راعي للعلوم، حيث يُعتبر من الأوائل الذين وضعوا حجر الأساس "للعصر الذهبي اليهودي في الأندلس"، كما كان ابن شبروط سفيراً للخلفاء الأمويين في الأندلس ومبعوثهم الخاص في الدول الأجنبية. وقد عمل ابن شبروط في بلاط الخليفة الناصر وولده الحَكم المستنصر وقد كانا يشاورانه في كثيرٍ من الأمور الكبيرة الخاصَّة بالدولة، أنظر: صاعد الأندلسي: طبقات الأُمم، تح: حياة بوعلوان، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1985م، ص 203 – 204، محمد مقديش: نُزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1988م، ج 1، ص 422.

[36] - ريموند ب. شايندلين: اليهود في إسبانيا المسلمة، تر: مريم عبد الباقي، في: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوشي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998م، ج 1، ص 190.

[37] - Simon Markovich DUBNOV : History of the Jews from the Roman Empire to the early medieval Period, Ed. AS Barnes, New York, 1973, vol. 2, p. 619.

[38] - محمد بحر عبد المجيد: المرجع السابق، ص 24.

[39] - Simon Markovich DUBNOV : op. cit., vol. 2, p. 619 – 620.

[40] - هو حاخام يهوديٍ أندلسي، حمل لقب الحاخام الأكبر في قرطبة بين 970 – 1014م. عند وفاة والده الحبر موسى بن حنوخ حوالي سنة 360هـ /970م، انقسم يهود قرطبة إلى جماعتين، الأولى تريدُ أنْ يرث ابنه حنوخ بن موسى منصب أبيه والأخرى تُفضل أن يتولّى هذا المنصب حبر آخر وهو يوسف بن أبي ثور. فاجتمع الطرفان عند الخليفة الحكم المستنصر بالله فحكم بين الطرفين ورشح حنوخ لخلافة أبيه بعد أن رأى أن الغالبية تؤيده، ولأن القول الفصل في هذه الأمور يعود لحسداي بن شبروط، الذي كان يفضل حنوخ، القادم من مدرسة تقليدية، بينما ابن أبي ثور فكان يجمع بين العلوم الدينية والدنيوية مشكلا نمطت جديدا من الحاخامات لا يرغبه التقليدانيون. كان يُدرس الشريعة اليهودية ومن أبرز تلامذته ابن نغريلة. وظلَّ حنوخ بن موسى في منصبه إلى أن توفي، أنظر:

Heinrich GRAETZ : Les juifs d'Espagne (945 - 1205), trad. De l’allemand par Georges STENNE, Ed. Michel Lévy Frères, Paris, 1872, vol. V, p. 336.

[41] - Simon Markovich DUBNOV : op. cit., vol. 2, p. 620.

[42] - محمد بحر عبد المجيد: المرجع السابق، ص 35.

[43] - Simon Markovich DUBNOV : op. cit., vol. 2, p. 620.

[44] - Eliyahu ASHTOR : The Jews of Muslim Spain, The Jewish Publication Society, Philadelphia, 1979, vol. 1, p. 361.

[45] - الزهراء مدينة أندلسية مشهورة، تبعد عن قرطبة 13 كيلومتر. تشتهر بعمارتها وما استخدم فيها من الذهب والرخام قام ببنائها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله بين عامي 936 و940م. وقد بناها لتماثل قصور دمشق العاصمة الأموية القديمة، وازدهرت لنحو 80 عاماً، ثم هجرها أهلها من جند قرطبة خلال ثورة الأمازيغ، أنظر:

Joseph F. O'CALLAGHAN : A History of Medieval Spain, Ed. Cornell University Press, Ithaca, New York, 1975, p. 132, D. Fairchild RUGGLES : Islamic Gardens and Landscapes, University of Pennsylvania Press, Pennsylvania, 2008, p. 152 – 153.

[46] - عن موقف المستنصر من هذا الصراع، ينظر: محمد بحر عبد المجيد: المرجع السابق، ص 35

[47] - Simon Markovich DUBNOV : op. cit., vol. 2, p. 620.

[48] - أبو الوليد هشام (الثاني) المؤيد بالله (حَكم فترة أولى من 366 – 399هـ / 976 – 1009م، ثم فترة ثانية من 400 – 403هـ / 1010 – 1013م)، هو عاشر الحكام الأمويين للأندلس وثالث خلفاؤهم في قرطبة، خلف أباه الخليفة الحكم المستنصر بالله عام 366هـ، وهو في سن الثانية عشر تحت وصاية أمه صبح البشكنسية، شهدت خلافته بداية انحسار سطوة دولة بني أمية في الأندلس بعد أن كانت قد بلغت أقصى درجات عظمتها في عهد جده عبد الرحمن الناصر لدين الله وأباه الحكم، حيث سيطر الحاجب المنصور بن أبي عامر على مقاليد الحكم، وأسس دولة داخل الدولة، ظل هشام المؤيد بالله اسميًا خليفة للأندلس حتى عام 399هـ، عندما خلعه ابن عمه محمد المهدي بالله، وظل حبيسًا إلى أن أُعيد للحكم مرة أخرى عام 400هـ، ولكن لفترة قصيرة حيث قُتل عام 403هـ، أنظر: ابن عذاري: المصدر السابق، ج 3، ص 248، الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، 1966م، ص 17، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1982م، ج 1، ص 100، وانظر أيضا:

Nicola CLARKE : "Heirs and Spares: Elite Fathers and Their Sons in the Literary Sources of Umayyad Iberia", Al-Masāq, 28 (1), p. 67 – 83.

[49] - الحاجب المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر (366 – 392هـ / 976 – 1002م) حاجب الخلافة والحاكم الفعلي في الأندلس في عهد الخليفة "هشام المؤيَّد"، بدأ حياته السياسية وتدرَّج في المناصب مُنذ عهد الخليفة الحَكم المُستنصر، وكان على علاقةٍ وطيدةٍ بزوجة الخليفة صُبح البشكنسية أُمّ

الخليفة هشام المؤيد، والتي كانت وصيَّة على عرش ولدها بعد وفاة زوجها الحَكم، عاونت صُبح الحاجب المنصور على إقصاء جميع منافسيه، ولكنه حجر على الخليفة الصبي، وقيَّد سُلطته هو وأمه، وسَّع المنصور الدولة شمالاً، وحرَّك بحملاته العسكرية حدود الممالك المسيحية في الشمال إلى ما وراء نهر "دويرة"، فبلغت الدولة الأموية في الأندلس أوج قوتها في عهده، قام المنصور بتأسيس دولة داخل دولة وعُرفت تلك الدولة باسم "الدولة العامرية"، وتمثَّلت بفترة حجابته للخليفة المؤيد بالله هو وأبناءه "عبد الملك المظفَّر" و"عبد الرحمن شنجول"، وقام بإرساء قواعد الحكم لأبناءه، إلاَّ أنَّ الأمر لم يستمر طويلاً حيث انتهت سيطرتهم على حكم الأندلس بعد أقل من عقدٍ من الزمن على وفاته، بعد أن ساد الأندلس فترة من الاضطرابات التي نتجت عن التصارع على الخلافة، راجع المقري: المصدر السابق، ج 3، ص 287، وانظر:

Roger COLLINS : Caliphs and Kings, 796 - 1031, Ed. Blackwell Publishing, Oxford, U.K., 2012, p. 195, Joel L. KRAEMER : Maimonides : The life and world of one of civilization's greatest minds, Ed. Doubleday Publishing, New York, 2008, p. 32.

[50] - العذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنوير الآثار، والبستان في غرائب البلدان، والمسالك في جميع الممالك، تح: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، إسبانيا، 1965م، ص 7 وما بعدها، البكري: المصدر السابق، ص 178 – 179.

[51] - Eliyahu ASHTOR : op. cit., vol. 1, p. 376, Angel Saenz - BADILLOS : Les recherches sur les Juifs d'Al - Andalus dans les vinght - cinq dernières années, Revue du monde musulman et de la méditerranée, N° 63 - 64, 1992, p. 65.

[52] - Eliyahu ASHTOR : op. cit., vol. 2, p. 377.

[53] - Simon Markovich DUBNOV : op. cit., vol. 2, p. 621.

[54] - بومبيديتا أو بومبيديثا أو بومبيديسا باللغة الكلدانية، هي مدينة بابلية كلدانية قديمة واسمها الحالي هو الفلوجة، حسب التلمود البابلي كانت مدينة كبيرة في العراق تسكنها أغلبية يهودية، أنظر:

Simon Claude MIMOUNI : Le Judaïsme ancien du siècle VI avant notre ère au siècle III de notre ère: Des prêtres aux rabbins, Nouvelle Clio, P.U.F. Presses universitaires de France, Paris, 2012, p. 823, Robert BRODY and Judith R. BASKIN : «Pumbedita». The Cambridge Dictionary of Judaism and Jewish Culture, Cambridge University Press, Cambridge, 2011, p. 503.

[55] - محمد بحر عبد المجيد: المرجع السابق، ص 36.

[56] - Maria Rosa MENOCAL : op. cit., p. 6.